الخطاب النقدي عند محمد مشبال بين بلاغة الحجاج وبلاغة الصورة

د. يوسف روباش جامعة ابن خلدون- تيارت-

مقدمة:

يعد محمد مشبال[1] من بين الباحثين المغاربة المعاصرين، الذي جددوا وأسهبوا في الدراسات الأدبية والنقدية العربية، وأحد حاملي مشعل تحرير البحث البلاغي من القيود القديمة التقليدية، وتطويرها برؤى جديدة، رغم أنه من بين الباحثين المعاصرين له صلة وطيدة مع النقد الأدبي، إلا أنه دخل غمار الدراسات البلاغية والحجاجية، وأقحم البلاغة في المناهج النقدية لدراسة النصوص الأدبية.

فالبلاغة عند محمد مشبال أدمجت كحقل جديد لتحليل الخطابات الأدبية، هي ليست البلاغة القديمة المجردة من الفكر والنظرية أو كما أسماها البلاغة المحنطة، التي فقدت روحها الفكرية والتنظيرية، و تحولت من نظريات أو تنظيرات الفكرية إلى أدوات إجرائية جافة، تُصنف كعلم آلة، يستخرج من النصوص صور بلاغية، وترتيبها واستخراج أركانها، بمعنى تعالج النصوص الأدبية معالجة سطحية دون الغوص في أعماق المعاني والدلالات، فمحمد مشبال جعل من البلاغة مشروع حي يتجدد بنظريات معاصرة وأفكار معاصرة، وروئ معاصرة بطابع تقليدي أي قراءة الأفكار البلاغيين القدماء من الجرجاني والسكاكي، وإعادة بعث روح أفكارهم البلاغية

[1] ناقد و اكاديمي مغربي، استاذ البلاغة والنقد الأدبي بكلية الآداب بجامعة عبدالملك السعدي بتطوان، يترأس فرقة البلاغة وتحليل الخطاب بنفس الجامعة.

بطابع عصري، وبصيغة منمقة فكريا و تنظيريا، والبحث عن نقاط بلاغية فنية، لإثراء الحقول النقدية بالبلاغة وتحليل النصوص الإبداعية بشكل جديد من البلاغة.

تُرى ماهي أهم الرؤى التي قدمها الباحث المغربي للنقد الأدبي و للبلاغة؟ كيف فرق بين المناهج النقدية التي تعنى بدراسة النصوص الأدبية؟ كيف فرق بين بلاغة الصورة وبلاغة الحجاج؟

ما علاقة بلاغة الصورة ببلاغة الحجاج في دراسة النصوص؟ ما المتغيرات الجديدة التي أحدثها محمد مشبال في دراساته النقدية؟.

1 . محمد مشبال من النقد الأدبي إلى البلاغة المعاصرة:

1-1 النقد الأدبي:

قدم محمد مشبال بعض التسميات للنصوص الإبداعية الفنية، من نقد أدبي، وبلاغة، وأسلوبية، وإنشائية، ونظرية الأدب، و تاريخ الأدب، التي لم تتوقف عن الظهور طوال تاريخ الإبداع الأدبي، فرغم الاختلافات الحاصلة للتسميات السابقة عبر التاريخ الإبداع الأدبي، من ناحية الرؤى المناهج، إلا أنها لها علاقة وطيدة بالإبداعي الأدبي الفني الجمالي[1]؛ فالنصوص الإبداعية تختلف من مؤلف إلى مؤلف آخر، من الناحية المعجمية والدلالية، والتركيبية، فالنص الأدبي في العصر العباسي مختلف من النمطية الفنية الجمالية، عن النص المعاصر الذي له مميزات مختلفة عن النص التراثي الأدبي، ومن الناحية المنهجية والنقدية تختلف طريقة التحليل والقراءة والتأويل من كلا العصرين السالفين الذكر، العباسي و المعاصر، فابن سينا مثلا له قراءة نقدية خاصة للنصوص الشعرية، ويقدم رؤى ومنهجية قرائية لتأويل النصوص الشعرية، بينما في العصر المعاصر يطمح النقاد إلى دمج وتطوير المناهج النقدية، وإبراز الطريقة الفنية للتحليل التأويلي والنقدي.

فالقراءات النقدية للنصوص الإبداعية الفنية، لها أطرها وضوابطها، التي تحصر وتقيد مجال التحليل النقدي، بل بالأحرى جمد التفكير التحليلي للنقاد،

[1] ينظر: محمد مشبال، أسرار النقد الأدبي، أسرار النقد الأدبي، مقالات في النقد والتواصل، مطبعة الخليج العربي، تطوان، ط1، 2002، ص 7

فالتواصل الفني بين " النقد، والإبداع الأدبي لم يكن في أبهى صوره؛ فكثيرا ما كان الشعراء أذكى من النقاد، وبرهنت صوره الإبداعية على تخلف النقد و عجز النقاد عن استنطاق الوظائف الجمالية وهذا دليل على أن النقد نشاط يتمتع بقدر من الاستقلال عن الأدب الذي يحاوره"[1]؛ فالنقد الأدبي هش من الناحية التواصلية بينه وبين الإبداعات الفكرية الفنية من نصوص نثرية وشعرية.

يرى محمد مشبال أن النظرية الأدبية الحديثة خضعت لمستويات الإبداع والمتلقي، وتولدت عنها هيمنة صارمة من الأجناس الأدبية النثرية والشعرية، و تكاد تكون مطلقة لجنس الشعر، على الرغم من النشاط الملحوظ لحركة النقد السردي، هذه السيطرة التي تبرز فعالية الجنس الشعرية في تشكيل مفاهيم جمالية إمتاعية، ساهمت تلك التصورات الأدبية الحديثة في توليد مفاهيم نقدية، من بينها الصورة الذي ارتبط بالشعر دون غيره من الأجناس الأدبية، هذه الإبداعات النثرية والشعرية[2]؛ إن النظرية الأدبية تهتم بتحليل الأجناس الأدبية من مفاهيم نثرية و شعرية من الناحية الجمالية والفنية الإبداعية، وانصب الواقع النقدي الأدبي في تحليل الخطابات الشعرية والنثرية السردية، على توليد مفهوم الصورة الذي ربطت بالجنس الأدبي الشعري بالدرجة الأولى. لما يحمله من مميزات فنية وإمتاعية تؤثر في المتلقي، وتحرك أحاسيسه، وبذلك يتلذذ القارئ شعوريا وحسيا.

فالأدب متنمق من الجمالية الإمتاعية بالصور البلاغية والفنية في الأجناس الأدبية، في أي حقل أدبي تتشكل التعابير البلاغية ليميز القارئ بها الخطاب البليغ الجمالي من الخطاب العادي المتداول الذي يكاد يخلو من الوجوه البلاغية؛ ومن التعابير والصور البلاغية الهامة نذكر المجاز التي ترتكز عليها كل الخطابات الأدبية الذي تتحول به معاني الكلمات وتتوسع ، وتُبنى على علاقتي المشابهة أو المجاورة اللتين تولدان الأشكال التصويرية الفنية الأكثر شيوعا وتداولا في الخطاب النقدي والبلاغي المرتبط بالأدب، من قبيل التشبيه

[1] محمد مشبال، أسرار النقد الأدبي، مقالات في النقد والتواصل، المرجع السابق ،ص7.

[2] ينظر: محمد مشبال، مقولات بلاغية في تحليل الشعر، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، ط1، 1993، ص15.

والاستعارة والكناية والمجاز[1]؛ فالصور البلاغية لها وظائفها الفنية في النص الأدبي، وتكون وظيفتها إقناعية إلى جانب وظيفتها الجمالية.

2-1 – النقد الأدبي وعلاقته بالصورة الأدبية:

تتحدد الصورة الأدبية عند محمد مشبال في " نطاق العلاقة بين شيئين، لتنحصر هذه الإمكانية التعبيرية في الصيغة اللغوية المقيدة التي تترجم قصور مفهوم الجمالية، المبلور في النظرية الأدبية الحديثة، عن استيعاب رحابة الشعر وعمقه الإنساني، على نحو ما تكشف عن افتقاره إلى ضبط إمكانات التصوير في النثر" [2]؛ فالصورة الأدبية في الشعر منمقة بالجمالية، بتعابير لغوية فنية، ليستوعبها المتلقي بصدر رحب، ولها تأثير نفسي عميق وقوي، فالتصوير في الشعر مختلف عن التصوير في النثر، في كون التصوير في الشعر هو أكثر تأثيرا وإحساسا.

يرى محمد مشبال عن الرواية والفروقات الفنية الإبداعية بينها وبين الشعر، فالرواية بكونها جنس أدبي نثري، ينطوي على مكونات وسمات تميز تشكيله اللغوي عن تشكيل الشعر، تمتلك صيغا تصويرية تتجاوز أفق الشعر وبلاغته، نحو أفق سردي بشخصياته وفضائه وامتداده، ولعل هذا يبتر الوظيفة الفنية الجمالية في الرواية ذات أبعاد مغايرة عن الشعر، فالنبش عن أن أي وظيفة جمالية في النثر بالشكل المقرر في كل أنواع الشعرية، يعد خطأ في اعتبار الشعر منبعا للجمالية الفنية.[3] ؛ ولا يمكن اعتبار الشعر هو النموذج للأدب بل النثر أيضا بما فيها الرواية التي تمثل الجانب السردي للأدب، والشعر يمثل الجانب الشعري، فالأدب فيه الشعرية وفيه السردية.

إن الشاعر القديم كان يبتدع أشعارا، لها أبعاد جمالية فنية تحقق بها اللذة، والمتعة للقارئ أو السامع، فغاية الشاعر هي تحقيق غرضه الشعري في القارئ، فالغرض الشعري يُعتمد "معيارا لـ'قراءة' النص ينبغي ألا يكتفي بتحديد ارتباط النص بالمكونات المعيارية للغرض الذي صدر عنه، بل تتمثل مهمته أيضا في تفسير السمات الجمالية الجديدة التي

[1] ينظر: محمد مشبال، أسرار النقد الأدبي، مقالات في النقد والتواصل، ص80.

[2] محمد مشبال، مقولات بلاغية في تحليل الشعر، ص17.

[3] المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

يتطور بها 'الغرض الشعري' نفسه"[1]؛ فالغرض الشعري له بعد تأثيري جمالي، يقصد بها الإمتاع والإقناع، وتحريك الأحاسيس والمشاعر للمتلقي.

1-3- النص السردي القديم في العملية التواصلية الإبداعية:

عالج محمد مشبال قضية النص السردي القديم، كوسيلة تواصلية بين المؤلف في عصر من العصور الإسلامية، والقارئ من العصر المعاصر، فالنص السردي عند الجاحظ "ليس حكاية ممتعة يراد بها إدخال السرور والابتهاج على القارئ فقط ولكنها أداة للتواصل؛ تضطلع بتلقينه المعلومات وتزويده بالمعرفة، على نحو ما تتوجه إليه ضمنيا بمجموعة من الحقائق الخلقية والإنسانية العامة لأجل العمل بها في حياته الاجتماعية[2].؛ وبذلك يكون النص السردي عند الجاحظ وسيلة تواصلية بينه، وبين القارئ، ويندمج معه، وإيجاد أنماط جديرة بالسلوك الإيجابي، ليستخرج طاقة جديدة من اللذة الفنية والجمالية التأثيرية.

1-4- النص السردي القديم في البلاغة الحجاجية:

يعد النص السردي من الأدوات التواصلية الإبداعية الأدبية بين المبدع والمتلقي، يخضع خلالها المبدع المتلقي إلى استقبال النص السردي أو النثري، و يستعمل الخبر للتحاور بينه وبين المتلقي ، فالخبر" باعتباره جزءا من حوار يمثل جوابه غير المباشر، يعني اختزال النص وترجمته في رسالة أو معنى ينتميان إلى الفضاء المشترك بين المرسل والمتلقي... تتضمن النصوص السردية ... في صلبها أسباب تحولها إلى خطاب بلاغي تواصلي "[3]، فالتحاور الخطابي البلاغي بين المبدع والمتلقي، يكون بالخبر الذي يعد جزء لا يتجزأ من الخطاب التواصلي، و به يتحقق مقاصد إخباره، وتحقيق غايات متعددة من نصوصه

[1] محمد مشبال، البلاغة والأصول، دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي، نموذج ابن جني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2007، ص216.

[2] محمد مشبال، البلاغة و السرد، جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، 2010، ص12.

[3] المرجع السابق ، ص52.

السردية، وقد اختزل محمد مشبال البنية السردية في توصيل المقاصد من خلال تحليل النصوص السردية للجاحظ في كتابه الحيوان، هي كالآتي[1]:

أ- **بناء الأخلاق في المجتمع** :

النص السردي حجة خلقية، تهدف إلى تقويم المجتمع من الصفات الذميمة، وزرع الصفات الحميدة التي تعلو بالمجتمع وترفع شأنه، فالصلاح في المجتمع غرض نبيل للنهوض به.

ب- **المعرفة العقلية سبيل إلى الإيمان**:

التنوير العقلي للإنسان سبيل آخر، لتنبيهه وتذكيره بالتعابير الفنية الإبداعية، وجبره على التفكير العقلي والمنطقي، وتذكيره بالله عز وجل، فالجاحظ يهدف إلى إصلاح أخلاق الناس وتعديل سلوكهم في المجتمع، لذلك استعمل التعابير الفنية وتمثيل الحيوان في الحوارات البلاغية، لتحقيق غاية واحدة الإصلاح ثم الإصلاح.

ت- **التمييز بين الإنسان والحيوان:**

فالنص السردي حجة بلاغية، لتدعيم الجاحظ أفكاره الفلسفية والعقدية، وتثبيتها ذهنيا في المتلقي، وبذلك يصبح المتلقي مميز بارع بين الخطأ و الصواب.

ث- **تثقيف القارئ:**

إن الغرض الذي يهدفه الجاحظ في نصه السردي هو التثقيف والتعليم، وتثبيت عقيدته، قبل أن يروم تسليته أو إمتاعه.

فمعظم النصوص السردية للجاحظ جاءت بغرض التعليم وتهذيب النفوس، وتقويمها لفعل الخير والصلاح.

ج- **متعة الهزل:**

هو مقصد جمالي وظيفتها إمتاع القارئ، وتحقيق المتعة الوجدانية النفسية، التي يستشعرها قارئ أخبار طريفة وهزلية، تثير في نفسه الضحك والاستغراب. فالمتعة عند الجاحظ هي ممزوجة بالجد والهزل، أو بتعبير آخر يتداخل فيها التصوير والحجاج.

[1] ينظر: المرجع السابق ، ص من 52إلى 61.

فالأخبار نصوص سردية تهدف إلى تقوية العقل من ناحية التفكير السليم، وتهذيب النفس من ناحية تربيته على فعل الصحيح، وتفادي الخطأ والصفات الذميمة.

محمد مشبال يثبت من خلال توضيحاته وتحليلاته النقدية لأخبار القدماء وخاصة الجاحظ في كتابه الحيوان، فالخبر له دور بارز في خلق حوار جدي بين المبدع والقارئ، ويبلغ المبدع مقاصده من خلال تحقيق اللذة والمتعة من جهة، وتحقيق الإقناع والتأثير في سلوكاته وتقويمها للأفضل والأصلح، فالخبر إثبات عن القدماء وخاصة الجاحظ، " ينطلق من المقام التواصلي المحسوس ليصوغه عالمه التخييلي الأدبي" [1]؛ فالخبر آلية تواصلية بلاغية، تدمج بين التصوير(التخييل)، والحجة(الإقناع)، لإثبات موضوع ما،ورسخها للمتلقي.

إن البلاغة الجديدة سعت بقوة كبيرة إلى تمجيد الاستعارة، على حساب باقي الصور البلاغية، بخلفيات شعرية، خلفت لنفسها مأزقا شائكا في تأمل أنواع خطابية أخرى، ومنها السرد الروائي بروست الذي كشف عن ترابط الاستعارة بالكناية. وهذا يفيد أمرين:

- لا يمكن التمييز بين الاستعارة والكناية تميزا مختلفا، ولا يصح التفريق بينهما فهما لحمة واحدة، ولا يصح أن نحصر استعمال الصورتين في كل أنواع الخطابات الأدبية، فبقية الصور لها استعمالاتها في الخطابات الأدبية.
- الرواية بما هي جنس أدبي نثري، لم تتحقق بالاستعارة أو الكناية، فبهما تجسد التحام متداخل متناسق.[2]

فالاستعارة والكناية صورتان بلاغيتان، لها تأثير قوي في الخطابات التواصلية، و تستعمل في مواضع إبداعية بشكل كبير، ولا يمكن الفصل بينهما في أي خطاب بلاغي.

2- بلاغة الصورة وارتباطها بالنقد والنص الأدبي:

رغم وجود اختلافات في تعريفات عدة عن البلاغة، فأشهر تعريف للبلاغة لها اقتران وارتباط وطيد بالصور الأسلوبية البلاغية، التي يتميز بها الخطاب، فالبلاغة بهذا

[1] محمد مشبال، البلاغة و السرد، جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ، ص 62.

[2] ينظر: محمد مشبال مقولات بلاغية في تحليل الشعر، ص24.

التصور يحيلنا إلى الوظيفة الجمالية التخييلية التي تنبع من الصور البلاغية، فالبلاغة هي مجموعة من الإجراءات التحويلية (الاستبدال والقلب والزيادة والحذف) التي يجريها المتكلم في مكونات بنية اللغة؛ تتمثل تلك الإجراءات والقواعد والضوابط الفنية تولد بها بلاغة الكلام أو ما يصطلح عليه الوجوه الأسلوبية[1]، فالوجوه الأسلوبية البلاغية صناعة جمالية فنية، يتفنن المبدع في تصويرها بتعابير منمقة ومزخرفة لفظيا، يُخلق بعدها في ذهن المتلقي من خلاله تلقيه لتلك التعابير سواءً كانت شعرية و سردية، و يُسلب ذهنه بالتصورات التخييلية الجمالية، وتجسد الأحاسيس شعوريا.

يقدم محمد مشبال علل جوهرية في اختلافات النقاد في تحديد الصور أو الوجوه الأسلوبية:

يختلف النقاد في إبراز تصورات عن التحليل البلاغي وانقسام النقاد بين اتجاهين هامين؛ اتجاه بلاغي يقوم على تطبيق التقنية البلاغية المنهجية بطريقة مضبوطة، لبلورة الصورة وتوضيحه معالمها الجمالية في الخطاب الإبداعي، واتجاه ثاني أدبي يقصي العلمية المنهجية، ويتميز بالطابع الإنساني الفني، التي توضح التصويرات الجمالية، التي لا يمكن ضبطها على نحو هندسي.[2]

يلخص محمد مشبال آفاق نقدية نظرية وإجرائية في عدة نقاط[3]:

- دعوة النقاد إلى تطبيق المناهج اللسانية في دراسة وتحليل الأعمال الأدبية، واحتمالية نجاحها من الناحية التنظيرية والتحليلية، إلا أنها ضيقت مفهوم الصورة الشعرية، واقتصرت عليها فقط، وأقصت الصورة في النثر و إهمالها تنظيرا وتحليلا.

[1] ينظر: محمد مشبال، عن بلاغة الرواية: مفهوم البلاغة الرحبة عند محمد أنقار: من خطاب البلاغة إلى بلاغة الخطاب، ضمن كتاب بلاغة الصورة، محمد أنقار ناقد السمات ومبدع السرد، إعداد وتنسيق: محمد مشبال، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2019، ص 16.

2 ينظر: محمد مشبال أسرار النقد الأدبي، مقالات في النقد والتواصل، ص80.

[3] ينظر: محمد مشبال مقولات بلاغية في تحليل الشعر،

- توجيه الجنس الأدبي النظريات النقدية المعاصرة، على الاهتمام بالصورة في النص الأدبي، والبلاغة الأدبية تمثل أساسا في الشعر، فالجنس الأدبي فرض سلطته في إعادة البناء النظري وتوجيه القراءة، فالتصور الذي وصل إلينا من النظريات الجمالية حول الصورة، الذي يهتم بالجانب الشعري، دون الخوص في مكنوناتها الفنية والتركيبية، فالجوانب السردية في الرواية لم تحظى بالاهتمام والدراسة العميقة تنظيرا وتحليلا، وانصبت الاهتمام إلا في الشعر.
- البحث عن الصورة في الرواية وبقية الأجناس الثرية، يفتح آفاق فتح المجال لإعادة بناء مفهوم الشعرية على أسس تتقيد بالسياق الجنسي الأدبي، بمعنى آخر استحضار فاعلية النوع الأدبي في بناء وتركيب المحتوى الجمالي الإمتاعي.
- تعد الأدبية كمفهوم نظري، الفضل الكبير في تطوير المناهج النقدية في تحليل النصوص، محصورة في الدراسات الإنشائية الحديثة، فالآليات الإجرائية المعتمدة في تحليل النصوص، لن تكون بالفعالية الكبيرة إلا بخضوعه للسياق الجنسي الأدبي، وبذلك يصير مفهوما نوعيا، متقيدا بالأنماط الأدبية التي تخضع للسياق الجنسي الأدبي المرصود.
- تراجع دور الناقد الأدبي بعد أن فقد مكانته في تحليل النصوص، بعد سيطرة المناهج والاتجاهات الأسلوبية والبلاغية في دراسة النصوص الأدبية تنظيرا وتحليلا، فاسترجاع الناقد الأدبي لمكانته لا بد منه أن ينتهج في تحليل للنصوص، نظريات جديدة في المناهج الأسلوبية والبلاغية، وأن يتفتح لنظرية الأدب والمقاربات النقدية للأعمال الأدبية الحديثة، فالبحث عن الصورة الأدبية وتوسيع تحليلها في النص الأدبي، إشكالية تفكك وتحلل إلى في إطار النقد الأدبي الملتزم بمراعاة خصوصية الجنس الأدبي، دون إهمال العلوم الإنسانية.

رسم محمد مشبال خطوط كبرى في النقد العربي من خلال تحليله لنوادر الجاحظ، وأفضى عليها إبداعات تنظيرية، تعمق من التحليل النقدي للنص الأدبي القديم، وتخرجه من غياهب النسيان النقدي، يحددها في النقاط الآتية:

أ- نهضة النقد العربي القديم مرتكز بالأساس على دراسة جنس واحد، وهو الشعر لجماليته الفنية المختلفة عن الأجناس الأخرى، وبذلك أُهملت بقية الأجناس الأدبية خاصة النثرية، وحصرها وتقييدها في حقل ضيق، فالأجناس الأدبية النثرية تساهم في بلورة المفاهيم النقدية والبلاغية الموروثة عن تفكيرنا الأدبي القديم.[1]

ب- تكمن اجتهادات النقاد العربي في تنظير النقد العربي المعاصر ، إبراز وخلق مناهج نقدية دقيقة لتحليل جميع الأجناس الأدبية شعرا ونثرا، و به تطورت المناهج النقدية العربية، وعمقت الوعي الجمالي بأدبية لغة الشعر والسرد.[2]؛ فالانتفاع بالآليات الإجرائية النقدية المعاصرة، وإعادة هيكلتها في النقد العربي القديم، بنظرية ممزوجة بين القديم والمعاصر، فسحت المجال لإعادة الاعتبار للنقد العربي القديم بقالب جديد، أساسها تحليل جميع الأجناس الأدبية بوعي جمالي.

ت- التراث النثري القديم يزخر بالتنوع الإبداعي، من الأجناس الأدبية، كالأنواع السردية التي تبتعد عن جمالية الشعر، والنثر الفني الذي تتقاطع بلاغته ببلاغة الشعر[3]، فبلاغة النثر هو التزام الدارس في بناء معاييره النقدية، بالارتكاز على الوعي الأجناسي الأدبي في أعلى مراتبه، والإقرار بأن كل جنس أدبي له خصوصياته الفنية والجمالية، التي ينبغي التقيد والالتزام في كل قراءة للتراث النثري القديم [4]؛ فالتراث النثري ثري بالنصوص الإبداعية، التي تحمل في طياتها معاني ودلالات، تؤثر في نفوس المتلقين، بالإمتاع واللذة الفنية والجمالية.

ث- ما يؤرق الدارس المعاصر مقولة التجنيس وتشغيلها في التراث السردي، بوجود نوع من الحكي يحمل عدة تسميات مختلفة، فالجاحظ يطلق على عمله النثري " البخلاء" تسميات متعددة: النوادر والطرف والملح والأحاديث، كل هذه التسميات تحيل إلى نوع سردي واحد، تحمل جملة من السمات والوجوه، فتحديد إطار واحد

---

[1] ينظر: محمد مشبال، بلاغة النادرة، تقديم: محمد أنقار، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص12.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص12- 13.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ، ص 13

[4] ينظر: المصدر نفسه، ص 16.

لقراءة الجنس الأدبي، ليس بالضرورة أن نحدد مفهوم محدد للجنس الأدبي، خاصة في غياب الوعي الأجناسي الذي لم يصل إلى الصياغات النظرية في أعلى درجاتها المقصودة، فالاعتماد على اسم الجنس مرتبط بالوعي الأجناسي، واشتغال أسماء الأجناس، بالنسبة للتواصلي الأدبي، وظيفة رئيسية تبرهن، وتحجج أن شكلا من الخطاب، تقرر باعتباره كيانا متميزا[1]؛ فالتجنيس في التراث السردي العربي مرتبط بالوعي الأجناسي، والتعميق فيه والنبش عن المكنونات الداخلية للنصوص السردية، وإعادة صياغتها بشكل دقيق للجنس الأدبي، مرتبط بقدرة الناقد في تطوير آلياته الإجرائية على النصوص السردية.

ج- إن الغرض الأساسي من هذه الدراسات الموجزة أن تحاور جنسا أدبيا منمقا، وبذلك يكون حوارا نقديا بين الناقد والتراث النثري القديم،يطرح خلالها الناقد تساؤلات وإشكالات، ليجيب عنها في النصوص التراثية السردية، فالكشف عن خبايا المعاني والأفكار العميقة للموروث الإبداعي، ورسم معالم الوعي بالجنس الأدبي، لم ينل شرف الانتساب إلى حقول الأدب العربي[2]؛ فالحوارات النقدية بين الناقد والنصوص التراثية، بآليات نقدية معاصرة، أثمرت إلى توليد أفكار ونظريات جديدة تعمق بها القراءة والتحليل وحتى التأويل، كل ذلك مرتبط بالوعي الأجناسي.

وقد اتجهت الدراسات إلى التأكد و التحقق من أمرين مهمين متداخلين يشير محمد مشبال:

أولا: ضبط سمات النادرة بما أنتجه الوعي الأجناسي:

إن ضبط السمات النادرة من خلال قراءة المورث القديم، من قصص وحكايات ونوادر، لتتجلى مظاهر الوعي الأجناسي تتطابق مع النصوص، فندرة ما صاغه القدامى من أفكار تحدد رؤيتهم الفنية لجنس النادرة، مما يصعب البحث والنبش عن الرؤى النقدية للقدامى، خلافا لما أقره الجاحظ[3]؛ فضبط سمات النادرة في التراث النقدي القديم، صعب

[1] ينظر: محمد مشبال ، بلاغة النادرة، تقديم محمد أنقار ص16- 17.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ، ص 18.

[3] ينظر: ، المصدر نفسه ، ص 18.

لما يحمله من تعقيدات وقيود تقليدية، حصرت تلك الأفكار وبترتها في بدايتها، فالجاحظ كان نابغة متعدد الأفكار النقدية واللغوية، استعمل الجنس النادرة لإيقاظ النفوس من سباتها العميق، والتأثر به قوليا وفعليا

ثانيا: ضبط سمات النادرة بواسطة تحليل النصوص:

إن ضبط سمات النادرة بواسطة تحليل النصوص، تتطلب " تحليلا دقيقا يراعي جملة من المبادئ المنهجية"[1] ، فالضوابط المنهجية لتحليل النصوص، واستخراج السمات والوجوه البلاغية من النص التراثي، يحيلنا إلى اتباع مناهج نقدية بآلياتها و إجراءاتها المنهجية، لضبط الوجوه والسمات، وتحديد بشكل دقيق وثابت.

قدم محمد مشبال بعض النقاط في خصوص المقاربات والمناهج النظرية والتحليلية في دراسة النصوص الأدبية، فتعميق البحث عن المناهج البلاغية القديمة، وإعادة ركنها مع المناهج النقدية المعاصرة، و إخراج بلاغة السمات والصور والوجوه من الحقول الضيقة إلى الحقول الموسعة، التي كانت محنطة ومقيدة تقليديا، بلا فائدة فنية وجمالية، وإعادة إحيائها بطريقة حداثية جديدة تدرس مختلف الأجناس الأدبية، بما فيها الشعر والرواية والأخبار والنوادر ... الخ.

3- بلاغة الحجاج مقاربة بلاغية في تحليل النص الأدبي:

تميزت بلاغة الحجاج عن البلاغة الأدبية، في كون أن البلاغة الأدبية ترتكز في دراسة الصور البلاغية، وإعادة بناء مفهوماتها وتحديد آليات اشتغالها، بينما بلاغة الحجاج تقوم على دراسة الخطاب في وظيفيته وفعاليته في العملية التواصلية بين المبدع والمتلقي[2]؛ وبذلك تنتهج المقاربة البلاغية الحجاجية، منهجا جديدا في قراءة النصوص الأدبية، في سياقات معينة، وتدرسها من الناحية الوظيفية الإقناعية، والفعالية التأثيرية للمتلقي، فالناقد البلاغي يسعى إلى استخراج و "دراسة الملفوظ الذي ينتجه المتكلم في مقام تواصلي محدد، لا لكي يعبر عن ذاته أو عن العالم الذي يعيش فيه، ولكن ليؤثر في المخاطب ويغير رؤيته

[1] محمد مشبال ، بلاغة النادرة، تقديم محمد أنقار ، ص19 .

[2] ينظر: محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطاب، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، ط1، 2017، ص19.

واعتقاده ويحمله على الفعل"[1]؛ فمعالجة الملفوظات ودراستها بلاغيا من الناحية الفعالية الإبداعية، التي يستعمل المبدع أساليب وتعابير لإمتاع المتلقي جماليا وفنيا، ومن الناحية الإقناعية في التأثير وتحريك النفوس نحو فعل المقصود .

استعمالات المبدع للوجود والصور البلاغية حجاجية، ليتحاور مع المتلقي، فيسعى المتلفظ بالخطاب إلى عرض الحجج التي تضمن له إقناع و تأثير المتلقي بالصورة التي شكلها له المبدع، فالصورة قائمة وفق المنظور البلاغي، الذي حُلل من قبل الناقد البلاغي، والذي تتركب على ثلاثة مكونات في التحليل البلاغي للصورة:

أ- **المكون الأول:** هي حجج إقناعية متوالية، تبرهن بها كل قضية وثبت بها كل رأي طُرح.

ب- **المكون الثاني:** وصف الأخلاق وسرد الصفات والأفعال، فالوصف آلية حجاجية لإبراز مواطن القوة الأخلاقية والفعلية.

ت- **المكون الثالث:** يتمحور في الأسلوب و التعابير المشكلة لخلق خطاب إبداعي حجاجي، وتنمقه صور تعبيرية، و وجوه بلاغية أسلوبية.[2]

فالقارئ يعتمد في تحليله للنصوص الأدبية على مكونات للتحليل البلاغي للصورة، قراءته على الحجج ومنابع الحجج، والوصفية والسردية في الصفات والأخلاق، و تشكيلات تعبيرية أسلوبية بلاغية، و تصويرات حجاجية، فبالصورة و المكونات الثلاثة تكشف" الخطة التي يتدبر بها المتلفظ تشكيل صورة جماعة من المنظور البلاغي، وهي خطة تقوم على استدعاء الحجج اللازمة في بناء الغرض البلاغي للصورة وتشكيل مقصديتها"[3]، فمقصدية الصورة تتحقق وتُجسد من خلال هيكلة متناسقة من الحجج والبراهين لإثبات وإقناع وإمتاع المتلقي.

إن بلاغة الحجاج تقوم على وصف آليات وإجراءات الخطاب في توجهه نحو المتلقي لإقناع في سياق تواصلي معين، فالبلاغة تتشكل من كل المقومات الخطابية المتداخلة في

---

[1] محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطاب، ص19.

[2] ينظر: محمد مشبال، بلاغة النص التراثي، مقاربات بلاغية حجاجية، دار العين للنشر، الإسكندرية، 2013، ص97.

[3] المصدر نفسه، ص97.

هندسة عملية الإقناع وفق البلاغة القديمة؛ تتمثل المقومات الخطابية في الإيجاد، والترتيب، والأسلوب، وبتعبير آخر مستمد من تصور شايم بيرلمان المتحور على عمليتين متداخلتين: الاختيار والتقويم؛ اختيار العناصر المتفق عليها بين المتكلم والمتلقي، بعناية تامة ورؤية مستقبلية، وطرحها ليسهم في تقوية حضورها و الزيادة في فعاليتها[1]؛ فبلاغة الحجاج تقوم على مسلمات حجاجية، ليبرز ويوفق المتكلم في اختيار العناصر التركيبية الحجاجية، وتقدم على شكل خطابات، لتقويمها وزيادة فعاليتها التأثيرية والإقناعية وفق تقنيات حجاجية وصور بلاغية، ف" تحليل الخطابات ذات البعد الحجاجي من قبيل الشعر والرواية والرحلة وغيرها من الخطابات البعيدة عن دائرة الخطابات الإقناعية المعروفة... أصبح كل عنصر خطابي مزود بوظيفة إقناعية قابلا لأن يؤخذ في اعتبار التحليل البلاغي الحجاجي من قبيل: الإيقاع والتعدد الصوتي والأصوات السردية...[2]"، إن تحليل الخطابات ذات الصبغة الحجاجية، مرهونة بعمق الوظائف الإقناعية في كل تحليل بلاغي، والتركيز على مدى قوة التأثير والإقناع في المتلقي، وقدرته على تمييز بعض الاعتبارات الحجاجية.

خاتمة:

قدم محمد مشبال تصورات نقدية، للنهوض بالنقد الأدبي، والبلاغة، فاستحدث بعض التصورات الفنية لبلاغة الصورة القائمة على التخييل وجماليتها الفنية، وربطها ببلاغة الحجاج القائمة على الحجج وأساسها الإقناع. نوضح تلك التصورات النقدية لمحمد مشبال الشكل الآتي:

- الاستفادة من المناهج النقدية المعاصرة، كالبنيوية، والسيميائية، والتأويلية... الخ، وإعادة اعتبار البلاغة القديمة العربية، وإبراز المكنونات النظرية والفكرية منها الخفية والعميقة التي تزخر بها.

[1] ينظر: محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطاب، ص20.

[2] المرجع السابق، ص60.

- أسهم في تطوير البلاغة وإخراجها من الحقل التقليدي الجاف، وإقحامها أو تصنيفها كمنهج لتحليل الخطابات والنصوص الأدبية، وتكون مغايرة للنظريات الفكرية القديمة التي وصفها محمد مشبال بالبلاغة المحنطة.
- تعد النظرية الأدبية التي تهتم بتحليل الأجناس الأدبية من مفاهيم نثرية وشعرية. فالأدب منمق جماليا بالوجوه البلاغية.
- ترتكز الصورة الأدبية في الأجناس الأدبية كالشعر والنثر، ولكنهما مختلفان في التعابير الشكلية والصيغ التصويرية لكل جنس أدبي.
- قدم محمد مشبال تحليلاته التطبيقية البلاغية والحجاجية، على النوادر والأخبار للجاحظ، وبذلك يستحدث رؤية تحليلية جديدة للساحة العربية.
- استخلاصه من خلال إجراءاته التطبيقية على النوادر، بفوائد وحكم غرضها التهذيب والتثقيف والتربية الأخلاقية.
- رسم محمد مشبال بعض النقاط النقدية للنهوض بالنقد الأدبي العربي، ودفعه إلى التجرد من التقليدية العقيمة، وتطوير النظريات والأفكار برؤى فنية جديدة.
- تميزت بلاغة الصورة بضبط السمات لما أنتجه الوعي الأجناسي، وضبط السمات بواسطة تحليل النصوص.
- ارتكزت بلاغة الحجاج على دراسة الخطاب في وظيفته الإقناعية وفعاليته التأثيرية الامتناعية للمتلقي.